http://www.shamela.ws

تم إعداد هذا الملف آليا بواسطة المكتبة الشاملة

الكتاب : مقدمة التفسير

المؤلف : العلامة عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي النجدي رحمه الله

[الترقيم غير موافق للمطبوع]

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

[مقدمة]

الحمدُ للهِ الذي أنزَلَ الكتابَ : تِبياناً لِكُلِّ شَيءٍ وهُدى .

وأَشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ الحَقّ الْمُبين .

وأَشهدُ أنَّ محمداً عَبدُهُ ورَسولُهُ ، الصَّادقُ الأَمينُ ؛ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَعَلى آلِهِ وأَصحابِهِ والتَّابعينَ ، وسَلَّمَ تَسليماً كَثيراً .

أَمَّا بَعدُ : فَهذهِ مُقدِّمَةٌ في التَّفسيرِ : تُعينُ على فَهمِ القُرآنِ العَظيمِ الجديرِ بأنْ تُصرَفَ لَهُ الهِمَمَ ، ففيهِ الهُدى والنُّورُ ، ومَن أَخَذَ بِهِ هُدِيَ إلى صِراطٍ مُستَقيمٍ .

البابُ الأَوَّلُ : تَنزيلُ القُرآنِ

[الفَصلُ الأَوَّلُ : مَذهَبُ السَّلَفِ]

أَجمَعوا على أنَّ القُرآنَ :

1ــ كلامُ اللهِ حَقيقَةً .

2ــ مُنَزَّلٌ غَيرُ مَخلوقٍ .

3ــ سَمِعَهُ جبريلٌ مِن اللهِ ، وَسَمِعَهُ مُحمَّدٌ مِن جبريلَ ، وسَمِعَهُ الصَّحابَةُ مِن مُحمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّم .

4ــ وَهُوَ الذي تَتلُوهُ بِأَلسنَتِنا ، وفِيما بَينَ الدَّفتَينِ ، وما في الصُّدورِ ؛ مَسموعاً ومَكتوباً ومَحفوظاً .

5ــ وكُلُّ حَرفٍ مِنهُ – كالباءِ والتَّاءِ – : كلامُ اللهِ غيرُ مَخلوقٍ ؛ مِنهُ بَدَأَ وإليهِ يَعودُ .

6ــ وهُو كلامُ اللهِ : حُروفُهُ ومَعانيهِ ؛ ليسَ الحروفُ دونَ الْمَعاني ، وَلا الْمَعاني دُونَ الحروفِ .

[الفَصلُ الثَّاني : مَذهَبُ الخَلَفِ]• وبَدَّعوا مَن قالَ :

1ــ إنَّ القُرآنَ فاضَ على نَفسِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّم مِنَ العَقلِ الفَعَّالِ أو غَيرِهِ ؛ كالفَلاسِفَةِ والصَّابِئِيَّةِ .

2ــ أَوْ : أنَّهُ مَخلوقٌ في جِسمٍ مِنَ الأَجسامِ ؛ كالْمُعتَزِلَةِ والجَهمِيَّةِ .

3ــ [أَوْ : أنَّهُ مَخلوقٌ] في جبريلَ أو مُحمّدٍ أو جِسمٍ آخرَ غيرِهما ؛ كالكُلاَّبِيَّةِ والأَشعَرِيَّةِ (1) .

4ــ أَو : أنَّهُ حُروفٌ وأَصواتٌ قَديمةٌ أَزَلِيَّةٌ ؛ كَالكَلاميَّةِ .

5ــ أَو : أنَّهُ : حادِثٌ قائِمٌ بِذاتِ اللهِ مُمتَنِعٌ في الأَزَلِ ؛ كالهاشِمِيَّةِ والكَرَّامِيَّةِ .

• ومَن قالَ :

1ــ (لَفظِي بِالقُرآنِ مَخلوقٌ) فَجَهمِيٌّ .

2ــ أَو : (غَيرُ مَخلوقٍ) فَمُبتَدِعٌ .

البابُ الثَّاني : مَواضِعُ نُزولِ القُرآنِ

1ــ أَجمَعوا على أنَّ القُرآنَ : مِئَةٌ وأربَعَ عَشَرَةَ سُورَةً .

2ــ والْمَشهورُ : سَبعٌ وعُشرونَ مَدَنِيٌّ ، وباقيهِ مَكِّيٌّ ؛ واُستُثنِيَ آياتٌ .

3ــ ومِنهُ : النَّهارِيُّ والليلِيُّ ، والصَّيفِيُّ والشِّتائِيُّ .

4ــ وأَوَّل ما أُنزِلَ : ? اقْرَأ ? ، ثُمَّ : (الْمُدَّثِّرْ) .

وآخِرُهُ : الْمائِدَةُ ، وَبَراءَةٌ ، والفَتحُ ، وآيَةُ : الكَلالَةِ ، والرِّبا ، والدَّينِ .

البابُ الثَّالِث : إِنْزَالُ القُرآنِ

1ــ [وَقتُ نُزولِهِ] :

أُنزِلَ القُرآن : جُملةً في لَيلَةِ القَدرِ ؛ إلى : بيتِ العِزَّةِ في السَّماءِ الدّنيا .

وأُنزِلَ مُنَجَّماً ؛ بِحَسَبِ الوقائِعِ .

2ــ [طُرُقُ تَلَقِّيه] :

يُلقيهِ جِبريلُ إلى النَّبي صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّم فِي مِثلِ :

(أ) صَلصَلَةِ الجَرَسِ : وهُو أَشدُّ عليهِ .

(ب) ويأتيهِ فِي مِثلِ صُورَةِ الرَّجُلِ يُكَلِّمُهُ .

4ــ [الحُروفُ السَّبعَةُ] :

---

(1) أي أنَّ القُرآن ليسَ هُو كلام الله ، وإنما كلامه المعنى القائم بِذاتِهِ ، والقُرآن خُلِقَ لِيَدلَّ على ذلك المعنى .

وثَبَتَ أَنَّهُ أُنزِلَ على سَبعَة أَحرفٍ .

قيلَ : الْمَعاني الْمُتَّفِقَة بِأَلفاظٍ مُختَلِفَةٍ ؛ كــ(هَلُمَّ) و(أَقْبِلْ) .

5ــ [كِتابَتُهُ وَجمعُهُ] :

وكُتِبَ فِي الرِّقاعِ واللِّخافِ والعُسُب والأَضلاعِ ؛ في عَهدِ النّبوَّةِ .

ثُمَّ : في الصُّحُفِ ؛ في عَهدِ أَبي بَكرٍ .

ثُمَّ : جُمِعَ عُثمانَ النَّاسَ على مُصحَفٍ واحِدٍ . والجُمهورُ : أَنَّهُ مُشتَمِلٌ على ما يَحتَمِلُهُ رَسْمُها ، ومُتَضَمِّنَتُها العَرضَةُ الآخيرَةُ .

6ــ [تَرتيبهُ] :

وتَرتيبُ :

1 : الآياتِ بالنَّصِّ .

2 : والسُّوَرِ بالاجتِهادِ .

البابُ الرَّابِعُ : أَسبابُ نُزولِ القُرآنِ

مَعرِفَةُ سَبَبِ نُزولِ القُرآنِ يُعينُ على : فَهمِ الآيةِ ؛ فَقَد يَكونُ اللَّفظُ عامّاً والسَّبَبُ خاصّاً .

ومِنهُ :

قَولُهُ تَعَالَى ? وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ ? [الطَّلاقُ : 4] .

وَقَولُهُ تَعَالَى : ? فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجهُ اللهُ ? (1) .

البابُ الخامِسُ : عامُّ القُرآنِ وخاصُّهُ

1ــ العامُّ أَقْسامٌ :

(أ) مِنهُ : الباقِي على عُمُومِهِ ؛ كَقولِهِ تَعَالَى : ? حُرِّمَت عليكُم أُمَّهاتُكُم ? .

(ب) والعامُّ المُرادُ بِهِ الخُصوصُ ؛ كَقولِهِ تَعَالَى : ? الذينَ قَالَ لَهُم النَّاسُ ? .

(ج) العامُّ الْمَخصوصُ – وهُو كَثيرٌ ؛ إِذْ ما مِن عامٍّ إِلاَّ وَقَدْ خُصَّ – .

2ــ الْمُخَصِّصُ :

(أ) إِمَّا مُتَّصلٌ : وهُو خَمسَةٌ ؛ الاسْتِثناءُ ، والوَصفُ ، والشَّرطُ ، والغايَةُ ، وَبدَلُ البَعضِ مِنَ الكُلِّ .

(ب) وإِمَّا مُنفَصِلٌ : كَآيَةٍ أُخرى ، أَو : حديثٍ ، أَو : إِجماعٍ .

3ــ وَمِن خاصِّ القُرآنِ :

---

(1) البَقَرة : 115 .

ما كانَ مُخَصِّصاً لِعُمومِ السُّنَّةِ ؛ كَقولِه : ? حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُم صاغِرِينَ ? ؛ خُصَّ بِقَولِهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّم : « أُمِرتُ أَن أُقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يَقُولُوا : (لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ) » .

البابُ السَّادِسُ : ناسِخُ القُرآنِ وَمَنسُوخُهُ

1ــ [تَعريفُهُ] : يَرِدُ النَّسخُ :

بِمَعنَى (الإِزالةِ) : ومِنهُ ? فَيَنسَخُ اللهُ ما يُلْقِي الشَّيطانُ ? .

وبِمَعنَى (التَّبديلِ) : ومِنهُ ? وإِذا بَدَّلنا آيةً مكانَ آيَةٍ ? .

2ــ [أَنواعُهُ] : وهُو ثَلاثَةٌ :

(1) ما نُسِخَ تِلاوَتُهُ وحُكمُهُ ؛ كَعَشرِ رَضَعاتٍ .

(2) ما نُسِخَ تِلاوَتُهُ دُون حُكمُهُ ؛ كَآيَةِ الرَّجمِ .

(3) ما نُسِخَ حُكمُهُ دُون تِلاوَتُهُ ؛ وقَد صُنِّفَت فيه الكُتُب – وهُوَ قليلٌ – .

[وقَد سَمَّى بَعضُ السَّلَفِ كُلَّ رَفعٍ نَسخاً ؛ سَواءً كان رَفعَ حُكمٍ أو رَفعَ دِلالة ظاهرة ؛ ولِذلك أكثَر بَعضهم من تَعديدِ الآياتِ الْمَنسوخَةِ] .

3ــ [ما يَقَعُ فيه النَّسخُ] :

وَلا يَقَعُ إلاَّ في : الأَمرِ والنَّهيِ ؛ ولَو بِلَفظِ الخَبَرِ .

البابُ السَّابِعُ : مُحْكَمُ القُرآنِ وَمُتَشابِهُهُ

1ــ [تَعريفهُ] :

• الْمُحْكَمُ : ما يُمَيِّزُ الحَقيقَةَ الْمَقصُودَةَ عَن غَيرِها .

• والْمُتشَابِهُ : [ما احتَمَل مَعنَيَيْنِ] فَيُشبِهُ هذا ويُشبِهُ هذا .

2ــ [حُكمُهُ] (1) :

؟ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ : فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ؟ :

(أ) ؟ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ ؟ لِيَفتِنُوا النَّاسَ ؛ إذْ وَضَعُوهُ عَلَى غيرِ مَواضِعِهِ .

(ب) ؟ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ ؟ وهُو الحَقيقَةُ التي أَخبَرَ عَنْها ؛ كالقِيامَةِ وَأَشرَاطِها .

؟ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ ؟ أي تأويلَ تِلك الحقائِقِ مِن وَقتٍ وصِفَةٍ ؟ إلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ : آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ؟ وَلَم يَنفِ عَنهُم عِلمَ مَعناهُ ، بل قال : ؟ لِيَدَّبَّروا آياتِهِ ؟ (2) .

3ــ [الصِّفاتُ لَيسَت مِنَ الْمُتشابه] :

قال شَيخُ الإسلامِ : (وثَبَتَ أَنَّ اتِّباعَ الْمُتشابِهِ ليسَ في خُصوصِ الصِّفاتِ ، ولا أَعلَمُ أنَّ أحداً مِنَ السَّلفِ جَعَلَها مِنَ الْمُتَشابِهِ الدَّاخِلِ في هذِهِ الآيَةِ) ه .

• [مَذهَبُ السَّلَفِ في الصِّفاتِ] : وعِندَهُم : قِراءَتُها تَفسيرُها ، وتُمَرُّ كَما جاءَت ؛ دَالَّةٌ على ما فِيها مِنْ الْمَعاني ؛ لا تُحَرَّف وَلا يُلْحَدُ فِيها .

4ــ [الظَّاهِرُ والْمُجمَلُ] :

---

(1) قال تَعَالَى : ? هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ؛ مِنْهُ : آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ ؛ هُنَّ : أُمُّ الْكِتَابِ . وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ . فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ : فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ؛ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ . وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ : آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا . وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ (7) ? [آل عِمران : 7] .

(2) سُورَةُ آلِ عِمران : 7 .

وَكُلُّ ظاهِرٍ : تُرِكَ لِمُعارِضٍ رَاجِحٍ ؛ كَتَخصيصِ العامِّ ، وتَقييدِ الْمُطلَقِ ؛ فَإِنَّهُ مُتشابِهٌ لاحتِمالِهِ مَعنَيَين .
وكذا الْمُجمَلُ ؛ وإحكامُهُ : رَفعُ ما يُتَوَهَّمُ فيهِ مِن المشعَنَى الذي ليسَ بمرادٍ .

البابُ الثَّامِنُ : التَّأْويلُ

1ــ [مَذهَبُ السَّلَفِ] :

• التَّأويلُ فِي القُرآنِ : نَفسُ وُقوعِ الْمُخبَرِ بِهِ .
• وَعِندَ السَّلَفِ : تَفسيرُ الكلامِ وَبيانُ مَعناهُ .

2ــ [مَذهَبُ الخَلَفِ] :

• وَعِندَ الْمُتَأَخِّرينَ – مِن الْمُتَكَلِّمَةِ والْمُتَفَقِّهَةِ ونَحوِهِم – : هُوَ صَرفُ اللفظِ عَنِ الْمَعنَى الرَّاجِحِ إِلَى الْمَعنَى الْمَرْجوحِ ؛ لِدليلٍ يَقتَرِنُ بِهِ .
أَوْ : حَمْلُ ظاهِرٍ عَلى مُحتَمَلٍ مَرجوحٍ .
• وما تَأَوَّلَهُ :
القَرامِطَةُ والباطِنِيَّةُ : لِلأَخبارِ والأَوامِرِ ...
والفَلاسِفَةُ : للأَخبارِ عَنِ اللهِ واليومِ الآخرِ ...
والجَهمِيَّةُ والْمُعتَزِلَةُ وغَيرُهُم : في بَعضِ ما جاء في اليوم الآخِرِ ، وَفي آياتِ القَدَرِ ، وآياتِ الصِّفاتِ ...
هُوَ مِن تَحريفِ الكَلِمِ عَن مَواضِعِهِ .

3ــ [غَلَطُ البَعضِ في مَعنَى (التَّأويلِ)] :

• قَالَ الشَّيخُ : « وَطَوائِفُ مِن السَّلَفِ أَخطَؤا في مَعنَى (التَّأويلِ) الْمَنفِيِّ ؛ وَفي مَعنَى (التَّأويلِ) الذي أَثْبَتُوهُ .
والتَّأويلُ الْمَردودُ : هُوَ صَرفُ الكَلِمِ عَن ظاهِرِهِ إِلَى ما يُخالِفُ ظاهِرَهُ .

وَلَم يَقُل أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ : (ظاهِرُ هذا غَيرُ مُرادٍ) . وَلا قالَ : (هَذهِ الآيَةُ أَو هَذا الحديثُ مَصروفٌ عَن ظاهِرِهِ) . مَعَ أَنَّهُم قَد قَالُوا مِثلَ ذلكَ في آياتِ الأَحكامِ الْمَصروفَةِ عَن عُمُومِها وظَواهِرِها ، وتَكَلَّمُوا فِيما يُسْتَشْكَلُ مِمَّا قَد يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ مُتَناقِضٌ » ه .

البابُ التَّاسِعُ : نَفْيُ الْمَجازِ

1ــ صَرَّحَ بِنَفْيِهِ الْمُحَقِّقونَ ؛ ولَم يُحفَظْ عَن أَحَدٍ مِنَ الأَئِمَّةِ القَولُ بِهِ .

وإِنَّما حَدَثَ تَقسيمُ الكَلامِ إِلى حَقيقَةٍ ومَجازٍ بَعدَ القُرونِ الْمُفَضَّلَةِ .

فَتَذَرَّعَ بِهِ الْمُعتَزِلَةُ والجَهْمِيَّةُ إِلَى : الإِلحادِ في الصِّفاتِ .

2ــ قالَ الشَّيخُ : « وَلَم يَتَكَلَّمِ الرَّبُّ بِهِ ، ولا رَسُولُهُ ، ولا أَصحابُهُ ، ولا التَّابعون لَهُم بِإحسانٍ .

ومَن تَكَلَّمَ بِهِ مِن أَهلِ اللغَةِ يَقُولُ في بَعضِ الآياتِ : (هذا مِنْ مَجازِ اللغَةِ) ومُرادُهُ : أَنَّ هذا مِمَّا يَجوزُ في اللغَةِ ، ولم يُرِدْ هذا التَّقسيمُ الحادثِ ؛ لا سِيَّما وقد قالُوا : (إِنَّ الْمَجازَ يَصِحُّ نَفْيُهُ) ! فَكَيفَ يَصِحُّ حَملُ الآياتِ القُرآنِيَّةِ على مِثلِ ذلك .

وَلا يَهُولَنَّكَ إِطباقُ الْمُتَأخّرينَ عَليهِ ، فَإِنَّهُم أَطبَقُوا على ما هُوَ شَرٌّ مِنهُ » ه .

3ــ وَذَكَرَ ابنُ القَيِّمِ خَمسينَ وَجهاً في بُطلانِ القَولِ بالْمَجازِ .

وكَلامُ اللهِ وكلامُ رَسُولِهِ مُنَزَّهٌ عَنْ ذلكَ .

البابُ العاشِرُ : إِعْجازُ القُرآنِ

1ــ تَعريفُهُ :

الْمُعجِزَةُ : أَمرٌ خارِقٌ للعادَةِ ، مَقرونٌ بالتَّحَدِّي ، سَالِمٌ عَنِ الْمُعارَضَةِ .

2ــ والقُرآن مُعجِزٌ أَبداً :

أَعجَزَ الفُصحاءَ مَعَ حِرصِهِم على مُعارَضَتِهِ .

وقَد تَحَدَّهُم تَعالَى على أن يَأتُوا بِحديثٍ مِثلِهِ ، أو عَشرِ سُوَرٍ ، أو سُورَةٌ .

3ــ وُجُوهُ إِعجازِهِ :

وَذَكَرَ العُلَماءُ وُجوهاً مِن إِعجازِهِ :

مِنها : أُسلُوبُهُ ، وبَلاغَتُهُ ، وبَيانُهُ ، وفَصاحَتُهُ ، وحُسنُ تأليفِهِ ، وإِخبارُهُ عَنِ الْمُغَيَّباتِ ، والرَّوعَةُ في قُلوبِ

سامِعيهِ ... وغَيرُ ذلكَ .
حتَّى قالَ الوَليدُ : (إنَّ لَهُ لَحَلاوَةٌ ، وإنَّ عَلَيهِ لَطَلاوَةٌ ...) .
ومَن تَأَمَّلَ حُسنَهُ وَبَديعَهُ وبَيانُهُ وَوُجوهَ مُخاطَباتِهِ : عَلِمَ أَنَّهُ مُعْجِزٌ مِن وُجوهٍ كَثيرَةٍ .

البابُ الحادي عَشَر : أَمثالُ القُرآنِ

1ــ أَهِمّيّتهُ :
أَمثالُ القُرآنِ : مِنْ أَعظَمِ عِلمِهِ . عَدَّهُ الشَّافِعِيُّ مما يَجِبُ على الْمُجتَهِدِ مَعرِفَتِهِ .
2ــ الحِكمةُ منه :
ضَرَبَها اللهُ : تَذكيراً وَ وَعظاً .
3ــ فائِدَتُهُ :
وهِيَ : تُصَوِّرُ الْمَعاني بِصُورَةِ الأَشخاصِ .

البابُ الثَّاني عَشَر : إِقْسامُ القُرآنِ

1ــ تَعريفُهُ :
[القَسَمُ : هُو اليَمينُ ، أَقسَمَ بِهِ ؛ أَي : حَلَفَ بِهِ] .
2ــ الحِكمةُ منه وبِم يكون :
والقَسَمُ تَحقيقٌ للخَبَرِ وتَوكيدٌ لهُ ، ولا يَكونُ إلاَّ بِمُعَظَّمٍ ؛ وهُوَ : اللهُ تَعَالَى .
3ــ ما يُقسِمُ بِهِ اللهُ : يُقسِمُ :
1 : بِنَفسِهِ الْمُقَدَّسَةِ الْمَوصُوفَةِ بِصِفاتِهِ .
2 : وبِآياتِهِ الْمُستَلزِمةِ لِذاتِهِ .
3 : وَصِفاتِهِ .
4ــ ما يُقسِمُ عليه :
يُقسِمُ تارَةً على : التَّوحيدِ .
وَتارَةً على : أنَّ القُرآنَ حَقٌّ .

وَتارَةً على : أنَّ الرَّسولَ حَقٌّ .

وَتارَةً على : الجَزاءِ وَالوَعدِ والوَعيدِ .

وَتارَةً على : حالِ الإنسانِ .

5ــ أنواعُهُ : والقَسَمُ :

(أ) إمَّا ظاهِرٌ .

(ب) وَإمَّا مُضمَرٌ ؛ وَهُوَ قِسمان :

1 : قِسمٌ دَلَّت عَلَيهِ اللاَّم ؛ نَحوُ : ? لَتَبْلُوُنَّ ? .

2 : وَقِسمٌ دَلَّ عليهِ الْمَعنَى ؛ نَحوُ : ? وَإِنْ مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُها ? .

البابُ الثَّالِثُ عَشَر : الْخَبَرُ وَالإِنْشاءُ

• الكَلامُ نَوعانِ : خَبَرٌ ، وَإِنْشاءٌ .

1– الفَرُوقُ بَينَهُما :

• الخَبَرُ : دائِرٌ بَينَ النَّفيِ والإثباتِ .

وَالإنشاءُ : أَمرٌ أَو نَهيٌ أَو إباحَةٌ .

• الخَبَرُ : يَدخُلُهُ التَّصديقُ وَالتَّكذيبُ .

وَالإنشاءُ : لا .

2– والإخبارُ : إمَّا إخبارٌ عَن الخالِقِ ، وإمّا إخبارٌ عَن الْمَخلوقِ .

---

1 : فالإخبار عَنِ الخالِقِ : هُوَ التَّوحيدُ ؛ وما يَتَضَمَّنُهُ مِن : أسماءِ اللهِ وَصِفاتِهِ .

2 : وَالإخبارُ عَنْ الْمَخلوقِ : هُوَ القَصَصُ ؛ وهُوَ : الخَبَرُ عَمَّا كانَ وما يَكونُ . ويَدخُلُ فيهِ :

(أ) الخَبَرُ عَن الرُّسُلِ وَأُمَمِهِم وَمَن كَذَّبَهُم .

(ب) والإخبارُ عَن الجَنَّةِ والنَّارِ والثّواب والعِقابِ .

البابُ الرَّابِعُ عَشَر : طُرُقُ تَفسيرُ القُرآنِ

1ــ أَصَحُّ طُرُقُ التَّفسيرِ : أَنْ يُفَسِّرَ :

1 : القُرآنُ بالقِرآنِ :

فَما أُجمِلَ فِي مَكانٍ فَإِنَّهُ قَد فُسِّرَ فِي مَوضِعٍ آخَرَ .

وَما اُختُصِرَ فِي مَكانٍ فَقَد بُسِطَ فِي مَوضِعٍ آخَرَ .

2 : فَإِنْ لَم تَجِدْهُ فِي القُرآنِ فَبالسُّنَّةِ :

فَإِنَّها شَارِحَةٌ للقُرآنِ وَمُوَضِّحَةٌ لَهُ .

3 : فَإِنْ لم تَجِدهُ ؛ فَارجِعْ إِلى أَقوالِ الصَّحابَةِ :

فَإِنَّهُم أَدرَى بذلكَ ؛ لِما شاهَدوهُ ، ولِما لَهُم مِن الفَهمِ التَّامِّ والعِلمِ الصَّحيحِ ؛ لا سِيَّما كُبَراؤُهُم ؛

كـــ(الخُلَفاءِ الرَّاشدينَ ، والأَئمَّةُ الْمَهديينَ ؛ كَابنِ مَسعودٍ وابنِ عبَّاسٍ) .

4 : وإِذا لَم تَجِدْهُ فَقَدْ رَجَعَ كَثيرٌ مِن الأَئمَّةِ فِي ذلكَ إِلى أَقوالِ التّابعينَ : كَمُجاهدٍ ، وسَعيدِ بنِ جُبَيرٍ ،

وعِكرِمَةَ ، وعَطاءٍ ، والحَسَنِ ، ومَسروقٍ ، وسَعيدِ بنِ الْمُسَيَّبِ .

وَكَمالكٍ ، والثَّوريِّ ، والأَوزاعيِّ ، والحَمَّادَينِ ، وأَبي حَنيفَةَ ... وغَيرِهِم مِنْ تابعيْ التَّابعينَ .

وكَالشَّافِعي ، وأحمدَ ، وإسحاقَ ، وأبي عُبيدٍ ... وأَمثالِهِم مِن أَتباعِ تابِعي التَّابعينَ .

2ــ ليسَ تباين الألفاظِ من السَّلَفِ اختِلافاً :

قَالَ الشَّيخُ : « وقَد يَقَعُ فِي عِباراتِهِم تَبايُنٌ فِي الأَلفاظِ ، يَحسَبُها مَن لا عِلمَ عِندَهُ اختِلافاً ؛ وليسَ كَذلكَ ،

فإنَّ مِنهُم :

---

1 : مَن يُعَبِّر عَن الشَّيءِ بِلازِمِهِ ، أَو : نَظيرِهِ .

2 : ومِنهُم مَن يَنُصُّ عَلى الشَّيءِ بِعَينِهِ .

ويُرْجَعُ [فِي تَبايُنِ عِباراتِهِم] إِلى :

1 : لُغَةِ القُرآنِ .

2 : أَو السُّنَّةِ .

3 : أَو لُغَةِ العَرَبِ .

ومَن تَكَلَّمَ بِما يَعْلَمُ مِن ذلكَ لُغَةً وَشَرعاً : فَلا حرجَ عليهِ . ويَحرُمُ : بِمُجَرَّدِ الرَّأيِ » ه .

وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ : (التَّفسيرُ على أَربَعَةِ أَوجُهٍ :

1 : وَجهٌ تَعرِفُهُ العَرَبُ مِن كَلامِها .

2 : وتَفسيرٌ لا يُعْذَرُ أَحَدٌ بجهالَتِهِ .

3 : وتَفسيرٌ يَلَمُهُ العُلماءُ .

4 : وتَفسيرٌ لا يَعلَمُهُ إلاَّ اللهُ) ه .

البابُ الخامِسُ عَشَر : التَّفاسيرُ

1ــ تَفاسير السَّلَفِ :

أَحسَنُ التَّفاسيرِ ؛ مِثلُ :

1 : تَفسيرُ عَبدِ الرَّزَّاقِ ، وَ وَكيعٍ ، وَعبدِ بنِ حُميدٍ ، وَ دُحَيمٍ .

2 : وتَفسيرُ أَحمدَ ، وإسحاقَ ، وبَقِيِّ بنِ مَخلَدٍ ، وابنِ الْمُنذِرِ ، وسُفيانَ بنِ عُيَينَةَ ، وسُنَيدٍ .

3 : وتَفسيرُ ابنِ جَريرٍ ، وابنِ أبي حاتمٍ ، وأَبي سَعيدٍ الأَشجِّ ، وابنِ ماجةَ ، وابنِ مَردَوَيهِ ، والبَغَويِّ ، وابنِ كَثيرٍ .

2ــ تَفاسير الخَلَفِ :

• وَحَدَثَ طَوائِفٌ مِن أَهلِ البِدَعِ : تَأوَّلوا كَلامَ اللهِ على آرائِهِم :

فَتارَةً : يَستَدِلُّونَ بآياتِ اللهِ على مَذهَبِهِم .

وَتارَةً : يَتَأوَّلونَ ما يُخالِفُ مَذهَبَهُم ؛ كالخوارجِ والرَّافِضةِ والجَهمِيَّةِ والْمُعتَزِلَةِ والْمُرجِئَةِ ... وغَيرِهِم . قَال الشَّيخُ : « وأَعظَمُهُم جَدَلاً : الْمُعتَزِلَةُ » ه .

• وَقد صَنَّفُوا تَفاسيرَ على أُصولِ مَذهبِهِم ؛ مِثلَ : تَفسيرِ ابنِ كَيسانَ الأَصَمِّ ، والجُبَّائِيِّ ، وعَبدُ الجَبَّارِ الهَمَدانِيِّ ، والرُّمَّانِيِّ ، والزَّمَخْشَرِيِّ .

ووافَقَهُم مُتاخِّروا الشِّيعَةِ : كالمفيدِ ، وأبي جَعفَرِ الطُّوسيِّ . اعتقَدوا رَأياً ثُمَّ حَمَلُوا القُرآنَ عليهِ .

ومِنهم حَسَنُ العِبارة يَدُسُّ البِدَعَ في كَلامِهِ ؛ كَصاحبِ الكَشَّافِ ، حتَّى إِنَّهُ يَروجُ على خَلقٍ كَثيرٍ .

وذَكَرَ : أنَّ تَفسيرَ ابنِ عَطِيَّةَ وأَمثالِهِ – وَإن كانَ أَسلَمَ مِن تَفسيرِ الزَّمخشَريِّ – لَكِنَّه يَذكُرُ ما يَزعُمُ أَنَّهُ مِ قَولِ المُحَقِّقينَ ، وإنما يَعني : طائِفةٌ مِن أهلِ الكلامِ الذين قَرَّروا أُصولَهُم بِطُرُقٍ مِن جِنسِ ما قَرَّرت بهِ الْمُعتَزِلَة (1) .

3ــ خطأُ بَعضِ التَّفاسيرِ :

1 : الخَطأُ في الدَّليلِ :

وَذكَرَ : الذين أَخطَؤا في الدَّليلِ ؛ مِثلَ كَثيرٍ مِن الصّوفيَّةِ والوُعَّاظِ والفُقَهاءِ وغيرِهِم ؛ يُفَسِّرون القُرآنَ بمعانٍ صَحيحةٍ ولكنَّ القُرآن لا يَدلُّ عَلَيها . مِثلَ كثيرٍ مما ذَكَرَهُ أَبو عبدِ الرَّحمن السُّلَميِّ في (حَقائِقِ التَّفسيرِ) .

2 : الخَطأُ في الدّليلِ والْمَدلولِ :

وَإن كانَ فيما ذَكروهُ ما هو مَعانٍ باطِلَةٍ ؛ فإنَّ ذلكَ يَدخلُ في الخطإِ في الدَّليلِ والمدلولِ جَميعاً ، حيث يكون الْمَعنى الذي قَصَدوه فاسِداً .

• وَبالجُملَةِ : مَن عَدَلَ عَن مَذاهبِ الصَّحابَةِ وَالتَّابعين وَتَفسيرِهِم إلى ما يُخالِفِ ذلكَ : كان مُخْطِئاً في ذلكَ ، بل مُبتَدِعاً – وإن كانَ مُجتَهِداً مَغفوراً لَهُ خَطَؤُهُ – .

الْمَقصودُ : بيانُ طُرُقِ العِلمِ وَأَدِلَّتِهِ وَطُرُقِ الصَّوابِ .

البابُ السَّادِسُ عَشَر : سَبَبُ الاخْتِلافِ

مِنهُ : ما مُستَنَدُهُ :

1 : النَّقلُ .

2 : أَوِ الاسْتِدلالُ .

[أَوَّلاً : ما مُستَنَدُهُ النَّقْلُ]

1ــ والْمَنقُولُ : إِمَّا عَن الْمَعصومِ أَوْ لا .

---

(1) يَعني : أُصولَهم وإن كان أهلُ الكلامِ أَقربُ إلى السنة من المعتزلة .

فالْمَقصودُ : وَإذا جاء عنهُ مِن جهتين أو جِهاتٍ – مِن غَيرِ تَواطُءٍ – فَصَحيحٌ .

وكَذا الْمَراسيلُ إذا تَعَدَّدَت طُرُقُها .

وخَبَرُ الواحِدِ إذا تَلَقَّتْهُ الأُمَّةُ بالقَبولِ أوجَبَ العِلمَ .

والْمُعتَبَرُ في قَبولِ الخَبَرِ : إجماعُ أَهلِ الحديثِ ، ولَهُ أدِلَّةٌ يُعرَفُ بها أنَّهُ صِدقٌ ، وعليه أدلّةٌ يُعرَفُ بها أَنَّهُ كَذِبٌ ، كما في تَفسيرِ : الثَّعلَبيِّ ، والواحِدِيِّ ، والزَّمَخشَري . وهُو قليلٌ في تَفسيرِ السَّلفِ .

2ــ وما نُقِلَ عَن بَعضِ الصّحابَةِ نَقلاً صَحيحاً : فالنَّفسُ إِليهِ أَسكَنُ مِما نُقِلَ عَن بَعضِ التّابعينَ .

3ــ والإسرائِيليّات : تُذكَرُ للإستِشهادِ لا للاعتمادِ :

1 : وما عُلِمَت صِحَّتُهُ مما شَهِدَ لَهُ الشَّرعُ : فَصَحيحٌ .

2 : وما خالَفَهُ : فَيُعتَقَدُ كَذِبُهُ .

3 : ومَا لَم يُعلَم حُكمُهُ في شَرعِنا : لا يُصَدَّقُ وَلا يُكَذَّبُ ، وَغالِبُهُ لا فائِدَةَ فيهِ .

[ثانياً : ما مُستَنَدُهُ الاسْتِدْلالُ]

وَالخَطأُ الواقِعُ في الاستِدلالِ مِن جِهَتَين :

1 : [قِسْمٌ مِمَّن تَقَدَّمَ ذِكرُهُم مِن الْمُبتَدِعَةِ – جاؤا] بَعدَ تَفسيرِ الصَّحابَةِ والتَّابعينَ وتابعيهِم – حَمَلُوا أَلفاظَ القُرآنَ عَلَيها .

2 : أَوْ فَسَّرُوهُ بِمُجَرَّدِ ما يَسوغُ أَن يُرِيدُوهُ مِمَّا لا يَدُلُّ على المرادِ مِن كلامِ اللهِ بِحالٍ .

وَتَبعَهُم كَثيرٌ مِنْ الْمُتَفَقِّهَةِ ؛ لِضَعفِ آثارِ النُّبُوَّةِ والعَجزِ والتَّفريطِ حتَّى كانوا يَرْوُونَ ما لا يَعلمونَ صِحَّتَهُ .

3 : وقد يكون الاختِلافُ : لِخَفاءِ الدَّليلِ والذّهولِ عَنهُ .

4 : وَقدْ يكونُ : لِعدَمِ سَماعِهِ .

5 : وَقد يكونُ : للغَلَطِ في فَهمِ النَّصِّ .

6 : وَقَد يَكونُ : لاعِتقادِ مُعارِضٍ راجحٍ .

البابُ السَّابِعُ عَشَر : تَفسيرُ القُرآنِ

التَّفسيرُ : كَشفُ مَعاني القُرآنِ وبَيانُ المرادِ مِنهُ .

قيلَ : (بَعضُهُ) يكون مِن قِبَلِ الألفاظِ الوجيزة وكَشفِ معانيها . و(بَعضُهُ) مِن قِبَلِ ترجيحِ بَعضِ الاحتمالاتِ على بعضٍ .

وأجمَعوا : على أنَّ التَّفسيرَ مِن فُروضِ الكِفاياتِ .

وهُو أجلُّ العلومِ الشَّرعِيَّةِ ، وأَشرَفُ صِناعَةٍ يَتعاطاها الإنسانُ .

• والْمُعتني بِغريبه لا بُدَّ لَهُ مِن :

1 : مَعرِفَةِ الحروفِ : وأكثرُ مَن تكلَّمَ فيها النُّحاةُ .

2 : والأَسماءِ والأَفعالِ : وأَكثرُ مَن تكلَّمَ فيها اللُّغَويّونَ .

3 : ومِنهُ : معرفةُ ما وُضِعَ لهُ الضَّميرُ ، وما يَعودُ عليه .

4 : والتَّذكيرِ والتَّأنيثِ .

5 : والتَّعريفِ والتَّنكيرِ .

6 : والخِطابِ بالاسمِ والفِعلِ .

• وأولى ما يُرجَعُ في غريبِهِ إلى :

1 : تَفسير ابنِ عبَّاسٍ وغيره من الصَّحابَةِ .

2 : ودواوينِ العربِ .

• ويُبحَثُ عن كونِ الآيةِ [وكَذا السّورَةِ] :

1 : مُكمّلةً لِما قبلَها ، أو مُستقلّةً .

2 : وما وجه مُناسَبَتِها لِما قبلَها .

وَعن القراءة (الْمُتواترةِ الْمَشهورَةِ) و(الآحادِ) وكَذا الشَّاذَّةِ ؛ فَإنّها تُفسّر المَشهورةِ وتُبيِّن معانيها ؛ وإن كان لا تَجوزُ القِراءةُ بالشَّاذةِ إجماعاً .

البابُ الثَّامِنُ عَشَر : تِلاوَةُ القُرآنِ

• تُستَحَبُّ : تلاوة القرآن على أكملِ وجهٍ على أكملِ الأحوالِ ، والإكثار منها ، وهو أفضلُ من سائِرِ الذكرِ .

والترتيلُ : أَفضلُ من السُّرعةِ مع تبين الحروفِ وأشدُّ تأثيراً في القلبِ .

وينبغي إعطاء الحروفِ حَقَّها وتَرتيبُها وتلطيفِ النّطقِ بها من غيرِ إسرافٍ ولا تَعسُّفٍ ولا تكلُّفٍ .

• ويُسنُّ : تَحسينُ الصَّوتِ ، والتَّرَنُّمُ بِخشوعٍ وحُضورِ قلبٍ وتَفكّرٍ وتَفهّمٍ .

يُنفِذ اللفظ إلى الأسماعِ والمعاني إلى القلوبِ .

قال الشيخُ في « زَيِّنُوا القُرآنَ بِأَصواتِكُمْ » هو : التَّحسينُ والتَّرَنُّمُ بِخشوعٍ وحُضورُ قلبٍ .

لا صرفُ الهِمَّةِ إلى ما حُجِبَ به أكثرُ النَّاسِ من : الوسوسةِ في خروجِ الحروفِ وترقيقِها وتفخيمِها وإمالتِها والنّطقِ بالمدِّ الطّويلِ والقَصيرِ والمتوسّطِ وشَغلهِ بالوَصلِ والفَصلِ والإضجاعِ والإرجاعِ والتَّطريبِ ... وغيرِ ذلكَ مما هو مُفضٍ إلى : تغييرِ كتابِ اللهِ والتَّلاعُبِ بهِ والتَّنطّعِ [مما يُحيل القلوبِ ويَقطَعُها] عن فَهمِ مُرادِ

الرِّبِّ من كلامِهِ .

ومن تأمَّل هدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّم وإقرارَهُ أهل كُلِّ لِسانٍ على قِراءَتِهِم : تبيَّن له أنَّ التنطّعَ بالوَسوسةِ في إخراجِ الحروفِ ليسَ من سُنّتهِ .

• وقال : يُكرَهُ التَّلحين الذي يُشبهُ الغِناءَ .

• واستحبَّ : بَعضُهُم القِراءةَ في المُصحَفِ .

ويُستحبُّ الخَتمُ كُلَّ أُسبوعٍ . والدّعاءُ بَعدَهُ . وتَحسينُ كِتابَةِ المُصحَفِ ، ولا يُخالِفُ خَطَّ مُصحَفِ عُثمانَ في واوٍ أو ياءٍ أو ألفٍ ... أو غيرِ ذلكَ .

• ويَحرُمُ على المُحدِثِ :

1 : مَسُّهُ . 2 وسَفَرٌ بهِ لِدارِ حربٍ .

• ويَجب : احترامُهُ .

وصلَّى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وصَحبِهِ وسَلَّم